# المحاضرة الأولى: النحو العربي : النشأة والتقعيد

## 1. مفهوم النحو:

### 1.1. لغةً:

كلمة "النحو" في اللغة العربية تستعمل لعدة معانٍ، أشهرها[1]:

- **القصد:** يقال "نحوتُ نَحوَك" أي قصدتُ قصدك.
- **المثل أو الشبه:** يقال "محمدٌ نحوُ علي" أي مِثله.
- **المقدار:** يقال "عندي نحوُ ألف دينار" أي مقدار ذلك.
- **الجهة:** يقال "ذهبتُ نحو المسجد" أي جهته.

### 2.1. اصطلاحًا:

يُعرف النحو في الاصطلاح العلمي بأنه :"**علمٌ بأصولٍ تُعرَف بها أحوال أواخر الكلمات العربية من حيث الإعراب والبناء؛ أيْ من حيث ما يعرض لها في حال تركيبها، فبه نعرف ما يجب أن يكون عليه آخر الكلمة من رفع أو نصب أو جزم أو لزوم حالة واحدة بعد انتظامها في الجملة**"[2]. والمقصود أنّ النحو هو :

- **علم بأصول** :أي أنه مجموعة من القواعد والقوانين الكلية (مثل: كل فاعل مرفوع...)
- **أحوال أواخر الكلم** :يركز النحو على التغيرات التي تطرأ على نهاية الكلمة فقط، وليس بنيتها الداخلية (التي هي من اختصاص علم الصرف .
- **إعراباً وبناءً** :يبحث في الكلمات التي يتغير آخرها بتغير موقعها في الجملة (المعربة)، والكلمات التي تلتزم حالة واحدة (المبنية).

تتمثل الثمرة من دراسة هذا العلم في:

- صيانة اللسان عن الخطأ (اللحن) في الكلام.

[1] ينظر، ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ج6، مادة (ن ح ا)، ص155.

[2] مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، ط37، 2000، ج1، ص9.

- فهم القرآن الكريم والسنة النبوية فهماً صحيحاً، لأن المعنى يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالحركات الإعرابية.

## 2. أسباب نشأة النحو العربي:

كانت العرب في الجاهلية كانوا يتكلمون بالفطرة والسليقة دون الحاجة إلى قواعد مدونة. كانت اللغة "طيعة سلسة" تبرز في الأسواق الأدبية كسوق عكاظ، وكان الدرس اللغوي غائباً؛ لاستقامة الألسنة وعدم وجود ما يستدعي التقعيد. لكن مع بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ودخول القوميات الأخرى في الإسلام بدأ يظهر اللحن "واعلم أنّ أول ما اختلّ من كلام العرب وأحوج إلى التعلّم: الإعراب؛ لأنّ اللحن ظهر في كلام الموالي والمغتربين من عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقد رأينا أنّ رجلا لحن بحضرته صلى الله عليه وسلم فقال: أرشدوا أخاكم فقد ضلّ. وقال أبو بكر الصدّيق لَأَنْ أقرأ فأُسقِطَ أحبّ إليّ من أن أقرأ فألحن"[3] وتفاقم الأمر في عهد الخلفاء الراشدين حتى اشتدت "الحاجة إلى علم يحفظ للناس لغتهم ويحميها من رطانة الأعاجم الذين ازداد عددهم بعد اتساع رقعة الإسلام وانتشاره في الآفاق، فسكنوا المدن الإسلامية ولاسيما بعد تأسيس البصرة والكوفة" [4] ولهذا نشأ "علم النحو" للحدّ من وطأة انتشار الأخطاء في اللغة على ألسنة الأعاجم.

تعدّدت أقوال العلماء في مسألة مَن واضع النحو العربي ؛ وقالوا بأنّه نصر بن عاصم، ، وقال آخرون: أبو الأسود الدؤلي، وقالوا: عبد الرحمن بن هرمز... على أنّ أغلب الدارسين يروون أنّ "أبا الأسود الدؤلي" دخل على أمير المؤمنين "علي بن أبي طالب" رضي الله عنه وهو بالعراق فوجده مطرقا يفكّر . فسأله فيم يفكر؟ فقال له: سمعت ببلدكم لحنا فأردت أن أصنع كتابا في أصول العربية وأتاه بعد أيام. فألقى إليه صحيفة فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، الكلام كله اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمّى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل..." [5] كان هذا بداية التأصيل لعلم النحو العربي، وممّا يروى أنّ الخليفة علي أمر أبا الأسود الدؤلي بإتمام هذا الكتاب عنه قائلا: "أُنحُ هذا النحو" حتى قيل: إنّ النحو سمّي نحوًا بسبب مقالة سيدنا علي كرّم الله وجهه.

---

[3] محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2005 ص37-185.

[4] محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط1، 1980، ص36.

[5] شوقي ضيف، المدارس النحوية، وتاريخ أشهر النحاة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1972، ص13-14.

### 3. مراحل تطوّر النحو العربي:

مرّ النحو العربي بأربعة أطوار[6] وهي:

- **طور الوضع والتكوين:**

وفيه نشأت الحاجة إلى التقعيد لأصول اللغة العربية ونظامها؛ فظهر "علم النحو" عند أبي الأسود الدؤلي، ونصر بن عاصم واضع نقاط الإعجام، عبد الرحمن بن هرمز، يحي بن يعمر...

- **طور النشوء والنمو:**

ظهر علم النحو بأصوله الأولى من عهد الخليل بن أحمد، أبي جعفر الرؤاسي، سيبويه، الأصمعي... اتسعت مباحث الإعراب والصيغ والأبنية. استقل علم النحو عن علم اللغة والأدب والأخبار، واشتدت المنافسة بين المدرستين البصرة والكوفة. وظهرت أمهات الكتب العربية: كتاب العين للفراهيدي، الكتاب لسيبويه، معاني القرآن للفرّاء...

- **طور النضج والاكتمال:**

معلوم أنّ بغداد كانت ملتقى النحاة العرب؛ إذ هاجروا من البصرة والكوفة بسبب الفتن والصراعات السياسية التي نشبت أنذاك... فانبرى كل فريق في الاستدلال لصحة مذهبه. ولئن خفتت العصبية فقد كان الترجيح من المذهبين من أهم خصائص هذا الطور. بالإضافة إلى انفصال المباحث النحوية عن الصرفية؛ حيث أَلَّفَ "المازني" كتابه "التعريف" وهو مؤلَّفٌ صرفي. وممّا طبع هذه المرحلة كثرة المصنّفات التي فصّلت مجمل ما كتب، وبسّطت ما أُبهِم؛ فأتمّوا التعريفات والتأصيلات. .. ومن أبرز أعلام المرحلة: ابن السكيت (411هـ)، المازني (417هـ)، الجرمي (449هـ)، ثعلب (454هـ)، المبرد(489هـ)...

- **طور الترجيح:**

تعاظم أثر المدارس النحوية (البغدادية، الأندلسية، المصرية) في هذه المرحلة التي تبدأ زمنيًا من أوائل القرن الرابع الهجري؛ فتباينت مشارب علماء هذا الطور ونزعاتهم؛ فكان منهم أصحاب النزعة

[6] ينظر، محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ص9.

البصرية مثل: الزجّاج، ابن السراج، الفارسي... ومنهم المنتصرون للمذهب الكوفي على غرار ابن الأنباري، وابن خالويه...، فيما طفق آخرون يوفّقون بين آراء المذهبين ينظرون فيها ويرجّحون أقواها مثل: ابن قتيبة، الأخفش الصغير...